غابة الموت

في غابة مظلمة مليئة بأشجار شائكة، و وحوش مفترسة تتعطش للدماء تأكل كل ما هو أضعف منها في تلك الغابة.. ؛حتى أنها تأكل بعضها البعض.. لاتعرف الرحمة ...؛تعرف الوحشية فقط..؛تأكل لاتشبع أبداً ،وأذا جاعت فإنها لا تقنع مهما أكلت..؛ تلك الوحوش المفترسة قضت على كل حيوانات الغابة الضعيفة ،ودمرت كلماهو جميل فيها..؛أصبحت تلك الغابة سوداء مظلمة ،كئيبة.

بخلاف الغابات التي تملأها الأشجار الخضراء ،وأنهارها الصافية العذبة التي تجري ولا تقف،والعصافير التي تغرد فيها بأجمل الألحان، وحيواناتها الجميلة تركض في أرجائها ،وتلعب بكل سعادة ..؛لتوحي بحياة الغابات ،وأزهارها التي يفوح عبيرها في كل مكان ،وخرير الماء فيها،ونسمات الهواء النقي، وخيوط الشمس الذهبية التي تزيد من بريق تلك الغابات الجميلة ...لكن تلك الغابة لم تعد جميلة ،وبخلاف كل الغابات فأشجارها سوداء شائكة ،وأنهارها لم تعد صافية لأنها اختلطت بالدماء ؛فأصبحت ساكنة لاتجري ... لاتسمع فيها إلا صوت الوحوش الجائعة .التي تتوق للأكل ...هي متعطشة للدماء فقط...لم يعد فيها أي حيوان..،تملأها العظام الرميمة، وتفوح منها رائحة نتنة جداً ،رائحة الموت والقتل، والذي يدخل تلك الغابة لا يخرج منها أبداً، فلا يتجرأ أحد على دخولها...

منظرها من بعيد يرعب الشجعان ،والفرسان ،فلايقترب أحد منها، الكل يعرف أن تلك الغابة من دخلها سيهلك، فهي غابة الموت....

وفي ذات يوم أتت إليها فتاة تبحث عن شيءٍ ما...!

فدخلت تلك الغابة دون تفكير... رغم كل ذلك الظلام الذي حولها ،وذاك الخوف الذي ينتاب من يراها...؛لكنها دخلت ...

ماهذا الشيء الذي تبحث عنه ياترى؟!

كانت تبحث وتبحث في ذلك الظلام ،وخلف الأشجار الشائكة...كانت تمشي في الطريق ،رغم كل الشوك الذي فيها ،فكانت تدوس على تلك الأشواك ؛وتنغرس في قدميها ،وكلما نزعتها سالت دمائها ،وامتلأت قدميها بالثقوب ،والدما من تلك الأشواك....ماهو الشيء الذي تبحث عنه ؟!...وهل يستحق كل هذا؟!....ولاتزال تمضي وقدميها تسيل دماً ....فوصلت إلى وسط الغابة، وفجأة تسمع صوتاً مخيفاً جداً ...صوت مرعب، فالتفت يميناً ويساراً..؛ فلم ترى شيء سوى الظلام الدامس....وتسمع ذلك الصوت يخرج من بين الأشجار الشائكة....كانت ترتعد خوفاً ،وهي تقول لنفسها:عليا أن أرجع ،ولكن يجب أن أجده أولاً .....فتبقى مكانها لاتتحرك ،واقفة على تلك الأشواك ...؛التي كلما نزعت قدميها عنها سالت منها الدماء ؛لكنها لم تعد تشعر بالألم من شدة الخوف؛من ذلك الصوت المخيف....!

ماهذا الشيء الذي تخاطر بحياتها من أجله وتتكبد كل هذا العناء في البحث عنه؟!....تلتفت يميناً ويساراً ولا ترى شيء... كأنها لاتزال تسمع ذلك الصوت..!

وخلف تلك الشجيرات الشائكة شيءً ما تضئ عينيه شراراً..؛ وكأنه وحش مفترس ؟!كان في شدة جوعه... تلتفت فتراه أمامها؛ وقفت للحظة جامدة لاتتحرك؛من شدة الخوف وقدميها قد تدبست في ذلك المكان..؛لا تشعر بشيء واصفرت من الخوف.. تجمد الدم في عروقها ،وكأنها فارقت الحياة

في تلك اللحظة المرعبة.

اهربي هيا اهربي....لكنها لا تستطيع لقد تجمدت مكانها....؛ولكن أنتِ تبحثين عن ذلك الشيء الذي خاطرتي من أجله..؛هل تتركينه هكذا؟!

ثم تتحرك فجأة وتنزع رجليها التي قد تدبست على الأرض في تلك الأشواك الحادة، فتركض على تلك الأشواك وكأنها عشب ناعم... لم تشعر بها على طول الطريق من شدة الخوف...،كانت تركض بسرعة ،والوحش خلفها كبير ،ومخيف جداً،له رأسان ،وفي رأسه الأول قرنين ،ورأسه الثاني يشتعل ناراً ،وله ستة أرجل ،و له نابان ضخمان تملأهما الدماء ،وفي عينيه شرارة غضب شديد، وجوع مهلك ؛يخاف منه أقوى وأشجع الفرسان على وجه الأرض ...؛وجد فريسته فركض ورائها ،وهي تركض ،وتركض...لكن لاجدوا فهو سريع جداً ..

كانت تركض بكل طاقته ، ...والخوف يملأ قلبها الرقيق ،بل ويكاد ينفطر من شدة الرعب...،وتقول لنفسها لن أنجو من أنيابه، وهي تكاد تموت من الخوف ....فتسمع صوت أخر ..،وفجأة ينط أمامها وحش آخر يشبه الأفعى وله أربع أرجل ،وأيدي عقرب ،و رأسه الكبير فيه خمس عيون ،وفمه الكبير المليئ بالأسنان الحادة ،ويخرج من أنفه دخان الغضب والجوع ...كان مرعب جداً..

الوحش الأول لايزال ورائها ولا يبعد إلا قليلاً ...هنا كانت نهاية الطريق ...؛شعرت تلك الفتاة أنها لن تنجو ،ولن تجد ماتبحث عنه رغم كل محاولاتها ،وشجعتها ،وقوتها ..؛لكنها لم تجد من يحميها في تلك الغابة ..؛أين أذهب؟قالت لنفسها بخوف...،التفتت يميناً فكانت هناك ثلاثة وحوش صغيرة نائمة تسد الطرق ...والتفتت يساراً وإذا بوحشان مفترسان يتقاتلان في تلك الجهة....أين تذهب ؟!لامفر من مواجة المصير المحتوم ..؛ربما مصيرها الموت في النهاية..؛ربما لن تجد ماتبحث عنه...في تلك اللحظة قررت أن تقف مكانها.... لإن كل طريق أمامها مسدودة ،وكل المحاولات لن تنفع ...كل الطرق تؤدي إلى الموت المحتوم...هنا توقفت دون حراك تواجه الموت وحيدة في تلك الغابة المرعبة ...فاندفع الوحشان إلى أن وصلا إليها...لكنها فريسة واحدة ذ؛وهما أثنان ،ولن يتقاسمها ؛بسبب الجوع ؛ثم فجأة صارا يتقاتلا كل منهما يريدها له، وتضخم القتال بينها...فهربت دون أن يشعرا بها...ركضت ،وركضت حتى أصابها التعب الشديد...وجدت صخرة كبيرة فتوقفت هناك ،وجلست على تلك الصخرة ...كانت الوحيدة في تلك الغابة التي لم يكن فيها أشواك حادة فجلست عليها ؛ فبكت بكاء شديد بعد ذلك التعب..،فتاة بريئة في غاية الجمال في وسط تلك الغابة المظلمة ...كانت تشعر بالبرد، والخوف،

والجوع، والتعب...جلست تبكي ،وتبكي كثيراً بعد ذلك الرعب الذي عاشت فيه...بكت بحرارة.

ماهذا الشيء الذي تبحث عنه؟! ...هل هو بهذه الأهمية؟!.....ورغم كل ذلك التعب لكنها لم تستسلم ،ورغم أن قدميها كلها ثقوب ،وجروح ؛لأنها كانت تمشي على الأشواك الحادة، ورغم الألم ،والجوع الشديد لأنها لم تأكل منذ أربعة أيام ؛لكنها لم تستسلم ،ولم تيأس؛ فنهضت لتبحث عن طعام ،وماء لتشرب...،فرأت نهر بعيد عنها قليلا فذهبت إليه، وعندما وصلت وجدت مائه ملوث كثيراً كان مليئ بالدماء والحشرات الميته ...لكنها كادت تموت من العطش ،ولكن الماء لايصلح للشرب، فعادت إلى الصخرة تبكي....وبينما هي كذلك

إذا برجل في أخر الغابة ..نظرت إليه وفرحت كثيراً؛ ف لحيته البيضاء ،و وجهه الحسن جعلها تطمئن، وتشعر بالسعادة...فذهبت بسرعة إلية اقتربت منه وقالت:أرجوك ساعدني ...أنا دخلت إلى الغابة لأبحث عن شيء مهم لكني ضعت فيها ،ولم أجد سوى الوحوش هنا...لكني فرحت كثيراً عندما وجدتك فأنت تبدو رجل مؤمن ...فأجابها الرجل بكل غرور:نعم أنا من عباد الله الصالحين .وأحب مساعدة الناس...

فبدأ يمدح نفسه أمامها لكنها تركته، و ابتعدت بهدوء

فناداها:انتظري أين تذهبين؟!

قالت : ظننت أني وجدت المخرج لكني كنت مخطأة ،وليس هذا هو ما أبحث عنه

قال لها:هل أزعجتك بكلامي؟!

قالت:لا داعي أن أجيب لأنني لا أريد

فقال لها بغضب: إذاً أبحثي عن المخرج بنفسك أيتها المغرورة..

ثم عادت للبحث.....بحثت ،وبحثت ..حتى تمكن منها التعب ،ولم تعد تقدر على الحركة، فنظرت إلي أخر الغابة ..؛فرأت رجل هناك ... كانت في شدة التعب

والإنهاك ،ورغم كل الجروح التي فيها لكنها ذهبت إليه...؛وصلت بعد بشق الأنفس...

فقالت:السلام عليكم

قال:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

قالت: يبدو أنك رجل مؤمن ،ويبدو عليك صلاح الحال

قال:الحمدلله هذا من فضل ربي علي ،ورحمته بي

فاطمأنت كثيراً لأن ذلك الرجل لم يكن مغرور...

فقالت:هل أجد عندك ماء للشرب

قال:نعم فهذا نهر أمامكِ من خير رب العالمين، وماؤه عذب صالح للشرب ....فشربت حتى ارتوت

فقالت:هل أجد عندك طعام....فذهب بسرعة ثم عاد يحملولها أشهى الأطعمة....فأكلت حتى شبعت ...فلاحظ الرجل الطيب تعبها، وحزنها..؛فقراء عليها سور من القرآن بصوت عذب جداً ..؛أذهب عنها كل التعب ،والحزن ،وعالج كل جروحها.

ورأى إلى ثيابها المقطعة فأعطاها ثياب جديدة، وقال لها:خذي هذه االملابس ،وبدلي ملابسك...

قالت: سأذهب لكي أغتسل أولاً في النهر، ثم سالبسها

عادت إليه وقد عادت لجمالها ،وبريقها الرائع، فكانت أجمل فتاة رأها في حياته ....عاد لها جمالها بعد أن أكلت ،وشربت ،وتعالجت من الجروح ،والهموم ..؛ولبست أجمل الثياب ،فكانت سعيدة جداً

فسألها الرجل :من أنتِ ؟!وكيف وصلتي إلى هذه الحالة ؟!ومماالذي دفعكِ لدخول غابة الموت؟!

قالت:كنت أبحث عنك...،ودخلت الغابة لعلي أجدك هناك

فاستغرب الرجل كثيراً وقال:تجديني أنا ؟! لماذا ؟! من أنتي أيتها الفتاة أجيبي؟!

فأبتسمت ،وقالت:أنا كرمك الذي جعلك تطعمني ،وتسقيني ،وأنا دينك الذي عالجتني به حتى شفيت ،وأنا إحسانك الذي كسوتني أيها، وأنا صفائك الذي اغتسلت به من كل الأوساخ ..؛فأنا هي مرأة داخلك.

فزادت حيرة الرجل ،وقال:لكني لم أفهم شيء مما قلتِ...كيف ذلك؟!

قالت:أنا الأخلاق التي أرغمها الناس على الدخول في الظلام الدامس. ؛ لتلاقي مصيرها في غابة الموت ،وحيدة بعد أن تبراء منها الجميع ....أنا التي أنجرحت كثيراً ،و مشيت على الأشواك ،وخرجت دمائي فشمته الوحوش المفترسة ...فتسابقت لقتلى ،وحين وصلت ألي تقاتلت من أجل من يقتلني... أنا هي الأخلاق .

هل تعرف أيها الرجل الطيب أن الوحوش تلك هم أعداء الأسلام الخبيثين...لقد فرحوا كثيراً حين رأوني ضعيفة ،و وحيدة فحاولوا جميعهم القضاء علي بكل وحشية ..؛لأن بقتلي ينتصرون على الإسلام، والمسلمين لكني نجوت بأعجوبة كبيرة .

هل تعرف أني وجدت رجل مسلم في تلك الغابة...؛ لكنه لم يدافع عني ،ولم يحميني ،وحتى لم يهتم لأمري ...؛لذلك أنا لم اطلب منه المساعدة ..؛بل فضلت البقاء في الغابة على أن اذهب معه .

فقال الرجل : لكن لماذا ؟!

قالت لأنه منافق ،وليس مؤمن حقاً ..؛بل ليس له من الإسلام سوى اسمه..؛ فهو يرائي به ،ويريد أن يشكر على دينه ،وأخلاقه..؛ وهذا هو فساد الدين ،والأخلاق..

لكنك أطعمتني إذ الناس تركوني للجوع ،وسقيتني إذ الناس تركوني للعطش ،وكسوتني إذ الناس مزقوا ثيابي ،و أويتني حين طرطوني ،وتبنيتني بعد أن تبرأ الكل مني ،وعالجتني إذ هم امرضوني

فأنت بيتي ،وأنا ساكون حصنك المنيع، وسلاحك القوي..؛ فأنا قوتك ،وشجاعتك ..؛فإذا لم أكن هكذا للمؤمن فلن أكون لغيره....؛وهذه هي قصة

الأخلاق التي ضاعت في غابة الموت.

الفتاة هي أخلاق المسلمين..: التي تركوها وحيدة تواجه الموت ،فتضيع في الظلام ،وهي تبحث عمن يتبناها ..؛هي أخلاق المسلمين التي اختفت بعيداً . ؛بعد أن واجهت الحياة القاسية بكل قوتها ، ولم تستسلم للضياع...هي أخلاق المسلمين التي تركوها فريسة سهلة لأعدائه... حاولوا القضاء عليها فلم يستطيعوا ،فحاولوا إضاعتها في غابة الموت، في حياة ضعيفة دمروا كل ماهو جميل فيها حتى أصبحت مخيفة....

تلك الأخلاق عزيزة جداً عند المؤمن ،و هينه عند النافق، وفريسة للكافر...

هربت الأخلاق من الكافر ،وتجاهلت المنافق ،وأصبحت حصن للمؤمن فقط ... ففي النهاية المؤمن هو صاحبها وهو الذي بحثت عنه لتبقى معه ،ولا تفارقه...

الأخلاق في غابة الموت

بقلم:فاطمة الدفعي